

الدعوة الإسلامية ٢

المواجهة مع المشركين

ثانياً: مرحلة الاعلان العام للدعوة وبداية المواجهة مع المشركين: وبعد ان تم بناء القاعدة الصلبة للدعوة - متمثلة بأولئك الرواد الاوائل من المسلمين الذين انضموا للإسلام في ايام غربته، الذين نمت فيهم التجارب المقدرة على الصمود بوجه الضغوط، وانضجتهم الآيات القرآنية التي كانت تنزل على مكث حيناً بعد حين - اصدر الله امره الى رسوله الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) ان يتجاوز هذه المرحلة فيجهر بدعوته ، وكان هذا الجهد امراً لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكي تثبت وجودها المنظور في الارض العربية اولاً، وفي العالم المحيط بها ثانياً. اذن فقد جاء الامر الالهي ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ * وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾، " فَبَلِّغِ الرِّسَالََةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلْ عَلَى الْمَحْجَّةِ دَالًّا عَلَيْهِا" وتقدم إليهم بالإنذار من عذاب الله، ودعاهم لما ينجيهم وما فيه خيرهم ، " فَبَلِّغِ(صلى الله عليه وآله وسلم) فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"، ولكن لم يلاق من عتاة قومه سوى التكذيب والعداء السافر. وكان لعمه أبي طالب دور بارز في مؤازرته في دعوته، فقد دعا بنو هاشم لحفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والقيام دونه فاستجابوا له ما خلا ابا لهب.

وقد اتخذت قريش وسائل شتى بغية ثني النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه عن نشر الدعوة الاسلامية، وبعد فشل مساومتهم المادية، واغراءاتهم بالملك والسلطة والاموال، اتجهوا نحو اسلوب العنف والتعذيب والقسوة فتعرض النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لشتى انواع العذاب من الاستهزاء، والسخرية، والاتهامات الباطلة بالكذب والسحر والجنون والشعر والكهانة. ويوثق لنا أمير المؤمنين بعضاً مما لاقاه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من التكذيب، اذ ذكر أنهم طلبوا من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) دعوة شجرة لتقف بين يديه، لما اتاه ملاً قريش: " فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا ، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ". ولما لبي لهم ما طلبوا ازدادوا عناداً واتهموه بالكذب والسحر وهذا ما اشار اليه بقوله: " فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلٌّ * (سَاحِرٌ كَذَّابٌ)*، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ."

وبلغ تمادي المشركين الى أن يلقوا العذرة والسلى على باب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وظهره، ورمي جسده الطاهر بالحجارة وادمأؤه، الى آخر ما فعلوه معه شخصياً، وهذا ما عبر عنه امير المؤمنين (ع) بقوله: " خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَدْنُونَ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارِبَتِهِ بَطُونَ رَوَاحِلِهَا".

ناهيك عما تعرّض له أصحابه من التعذيب الجسدي حتى القتل، لكن النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) واصل طريق دعوته المحفوف بأقصى انواع الشدائد والمكاره فـ " دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنْ دِينِهِ، لَأَيِّثِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالتَّمَّاسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ "

وفي السنة العاشرة من البعثة خرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وبنو هاشم من الحصار، وهم اصلب عودا، واغنى تجربة ، واكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذي آلوا على انفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب، وكان من اثر الحصار، أن اشتهر ذكر الاسلام والمسلمين وانتشر في كل ارجاء الجزيرة العربية، وكانت امام رسول الله مهام صعبة منها ، الانفتاح بصورة اوسع خارج نطاق مكة ، ومحاولة ايجاد اكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله الرسالة الاسلامية.

اذن استتبع اعلان الدعوة العام المواجهة من قبل رموز الجاهلية الذين عبر عنهم (ع) بـ " الملاء "، وكانت قریش ببطونها هي المخاطب الاول لدعوة النبي، وكانت استجابتها - وهي في الموقع الاجتماعي والسياسي المرموق عند عرب الجزيرة - تشكل منعطفا كبيرا في تقدم الرسالة، كما كان احجامها وتلكؤها يشكل عقبة كؤود امام حركة الرسالة وتطورها وتمخضت دعوتهم الى الايمان بالدعوة عن مرحلتين من المواجهة:

اولا: المواجهة السلمية او الحرب النفسية: المتمثلة بالتعجب والتشكيك وطلب المعجزة والسخرية واتهام النبي بالكذب والسحر.

ثانيا: التهديد بشتى اشكاله الذي كان تعبيرا عن اخر السهام التي اطلقها الملاء القرشي لضرب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته للانتقال من المواجهة السلمية الى المواجهة الساخنة، التي بدأت بايذاء وتعذيب المسلمين، ثم انتهت بقرار التصفية الشاملة والسريعة المتمثلة في قتل القيادة وانهاء وجودها وتحركها بشكل تام. وهذا ما اشار اليه الإمام علي (ع) بقوله : " فَأَرَادَ قَوْمًا قَتَلَ نَبِيًّا وَاجْتِيَا حَ أَصْنَا".

كانت ردود فعل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في كل مرحلة من مراحل المواجهة تتناسب مع اهدافه العليا ومثله وقيم الرسالة التي يريد ارساءها في وجدان ذلك المجتمع، فكان البلاغ المبين والصبر والمقاومة هو الشعار الاول، والهجر الجميل الذي تمثل بالامر بالهجرة حلا للالزمة كما كان استمرار المقاومة والدعوة هو الشعار الثاني، وقد خرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من المقاطعة الشاملة منتصرا ظافرا بالحماية الالهية، واستمر يبحث عن القلوب الواعية حتى امره الله بالهجرة الشاملة ليعد العدة اللازمة لصد العدوان القرشي الذي اخذته العزة بالاثم، وراح يخطط لاطفاء نور الله في الارض ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

ولكن فجع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته الغراء بمضة شديدة اثر فقد حاميتها
وسندها القوي المنيع ابو طالب، وكذلك وفاة السيدة خديجة ثاني سندي الرسول الاعظم ولشدة
اثر فقدهما على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) روي أنه سمى ذلك العام بـ "عام الحزن"،
وقد صرح(صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: " ما زالت قريش كاعة عني حتى مات ابو
طالب"، بل جاء الامر الالهي بوجوب الخروج من مكة ، والبحث عن مأوى آمن بعد غياب
ابي طالب.